الإعراض عن ذكر الله في القرآن الكريم

في ضوء قوله تعالى:

﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾

الدكتور/سعود بن عبدالعزيز الحمد

قسم القرآن وعلومه ــ كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمـــة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى زوجاته وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .وبعد :

فهذا بحث مشتمل على لطائف متفرقة وفوائد متنوعة منبثقة من النظر والتأمل لقوله تعالى في شـــأن المعرضين والمتكبرين عن ذكر الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ وذلك في الآية الرابعة والعشرين بعد المائة من سورة طه .

حيث بين الله تعالى الجزاء الرادع في الدنيا لكل من أعرض عن ذكر الله وصد عنه سواء بفعله أم بقوله وهو عقاب أليم وجزاء عظيم تقشعر منه الأبدان وتذرف لهوله العيون وحق لكل عاقل من بني الإنسان أن يتأمل الأسباب المؤدية إلى هذا الخسران وأن يحرص كل الحرص ويعقد العزم على مبارحتها وعدم قربها ففي ذلك النجاة والفوز بإذن الرحيم الرحمن .

وقد انتظم هذا البحث جملة من المسائل تدور حول فقه هذه الآية وتأملها وقصدي من وراء ذلك نفع نفسي أولاً ومن يقف عليه من إخواني .

ومما لاشك فيه ولا مراء أن كتاب الله العظيم قد حوى كنوزاً من العلوم وفوائد عظيمة تحتاج إلى النظر والتدبر ليقف المرء على ما حوته من الفوائد

والدرر، قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢) ، وقال تعـــالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (٣).

وبعض الناس خلال بحثه عن الحق وسعيه في طلبه ربما زين لهم الشيطان التمادي بعقولهم وذلك بإعطائها أكبر مما تستحق فيدفع الإنسان عقله وتفكيره إلى متاهات هو غني عنها ما أنزل الله بها من سلطان وليس مكلفاً بالبحث فيها فتكون نتائج هذا التفكير وخيمة وعواقبه عظيمة لأن العقل هنا تجاوز حدوده التي شرعها الله له فكما أن البصر والسمع محدودان وطاقة الإنسان وقدرته محدودة فكذلك عقله محدود بحدود ومضبوط بضوابط لا يسوغ له تجاوزها ولا يسعه مبارحتها فإن فعل ذلك ضل وأضل فلابد إذن لهذا العقل من الاسترشاد بتعاليم الشرع ولابد له من الاستنارة بنور الإسلام، فالعلم المبني على الكتاب والسنة المتلقى من الشارع الحكيم هو طريق العقل في مسائل الغيب والأمور التي لا مجال للعقل فيها، أما أن يتخبط الناس في هذه الأمور ويخوضوا في مجال ليس لهم الخوض فيه ففي هذا هلاكهم وضلالهم ، ولهذا رغبت في الكتابة عن هذا الموضوع لبيان مكانة الذكر وأهميته في حياة المسلم وبيان الآثار التي تترتب على الغفلة عن ذكر الله والإعراض عنه وكذا بيان مترلة العقل ومكانته في الإسلام

---

(١) سورة القمر – آية ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠ .

(٢) سورة ص – آية ٢٩ .

(٣) سورة محمد – آية ٢٤ .

وتكريم الإسلام له واهتمام القرآن به من خلال هذه الآية الكريمة والتي تذم المعرضين عن ذكر الله وترتب الجزاء الدنيوي والبرزخي والأخروي لهم وكذا الذين يحكمون عقولهم في كتاب الله وشرعه وأنهم من أعظم المعرضين عن ذكر الله الصادين عنه وقد اقتضت طبيعة البحث معالجته من خلال المسائل التالية :

المسالة الأولى: تفسير الآية وبيان معناها وإعرابها.

المسألة الثانية: في بيان معنى الإعراض .

المسألة الثالثة: في بيان معنى الذكر .

المسألة الرابعة: في بيان معنى المعيشة الضنك .

المسألة الخامسة: هل المراد عمى البصر أم عمى البصيرة .

المسألة السادسة: الفرق بين الإعراض عن الذكر ومعارضة الذكر .

المسألة السابعة: أسباب الإعراض عن ذكر الله .

المسألة الثامنة: بعض الآثار التي تنجم عن الإعراض عن ذكر الله.

المسألة التاسعة : من فوائد ذكر الله .

الخاتمـــة :

فهرس المصادر والمراجع :

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما يعلمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يهدينا إلى الحق في الأقوال والأفعال إنه سميعٌ مجيب ، وهذا أوان الشروع في المقصود وعلى الله الاعتماد والتكلان .

المسأله الأولى:تفسير الآية وبيان معناها وإعرابها :

يقول الله جل وعلا:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ .

"**أعـــرض**" : أي صــدّ وتولى عن ذكر الله[1] ومنه الانصراف والتولي عن القرآن والدلائل التي أنزلها الله لعباده وعدم النظر فيها والانتفاع بها .... ويدخل في ذلـــك الانشغال عن ذكر الله ، والتعلق بغير الله مما يدفع إلى الخوف منه أو رجائه أو تعظيمه، أو الحلف به فكل ذلك داخل ضمن الإعراض عن ذكر الله ، وسيأتي مزيد بيان لهذا المعنى في مسألة قادمة.

"**عن ذكري**": قال عطاء: عن موعظتي ،وقال الكلبي: عن القرآن فلم يؤمن به و لم يتبعه[2].

وقيل: عن ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه ، و لم يتبع هداي.[3]

والذكر: يقع على القرآن وعلى سائر الكتب الإلهيه.[4]

وقـــال ابـــن كثير: أعرض عن ذكري: أي: خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه.[5]

"**فإن له معيشة ضنكا**": الضنك: الضيق والشدة، وكل ماضاق فهو ضنك ، يقال:منـــزل ضنك،وعيش ضنك،وضنك عيشه يضنك ضناكة وضنكاً...

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ١٥٥/٤

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٢٢٥/٣

(٣) فتح القدير للشوكاني ٣٩١/٣

(٤) روح المعاني للآلوسي ٢٧٦/١٦

(٥) تفسير ابن كثير ١٦٨/٣

وأكثر ما جاء في تفسير المعيشة الضنك:عذاب القبر، وروي عن أبي سعيد الخدري في قوله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ قال: المعيشة الضنك: عذاب القبر يلتئم على صاحبه فلا يزال يعذب حتى يبعث، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء: قال :يريد ضغطة القبر حتى يختلف أضلاعه[1].

وقال الضحاك: الكسب الخبيث،والعمل الخبيث[2].

يقول الشوكاني رحمه الله: ومعنى الآيه:أن الله عز وجل جعل لمن اتبع هداه وتمسك بدينه أن يعيش في الدنيا عيشاً هنياً غير مهموم ولا مغموم ولا متعب نفسه كما قال تعالى:﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ وجعل لمن لم يتبع هداه وأعرض عن دينه أن يعيش عيشاً ضيقاً وفي تعب ونصب، ومع ما يصيبه في هذه الدنيا من المتاعب فهو في الآخرة أشد تعباً وأعظم ضيقاً وأكثر نصباً .[3]

" وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ": قيل في تفسيرها:أعمى البصر، وقيل أعمى عن الحجه، يعني أنه لا حجة له يهتدي اليها، والأعمى اذا أطلق كان الظاهر عمى البصر يدل على هـــذا قوله ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾[4].

قال الفراء: يقال إنه يخرج من قبره بصيراً فيعمى في حشره[5] ، والآية تحتمل جميع هذه المعاني التي ساقها المفسرون فلا مانع من أن تحمل على عمى البصر في

---

(١) الوسيط للواحدي ٣/٢٢٥-٢٢٦ وانظر تفسير الطبري ١٦/٢٢٧.

(٢) تفسير الطبري ١٦/٣٩١.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٣/٣٩١.

(٤) الوسيط للواحدي ٣/٢٢٦.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/١٩٤.

بعض مواقف القيامة ، وعمى البصيرة في الدنيا عن شرع الله وأوامره والتخبط في ظـــلمات الكفـــر والضياع مع وضوح شواهد الحق ودواعي الإيمان مما يقود إلى النهاية المؤلمة المفزعة في الآخرة وهي عمى البصر لأن الجزاء من جنس العمل فالمعرض عـــن ذكر الله في الدنيا وعن دينه وهداه اختار العمى والضلال على الهدى والبصيرة وســـيقوده هذا الاختيار إلى العمى الحقيقي في الآخرة العمى الحسي وهو عدم الرؤية والإبصـــار والعمـــى المعنوي وهو الهلاك والخسران والبوار وهذا هو العمى الحقيقي الذي لا يساوي فقد النظر في الدنيا بجانبه شيئاً أبداً نسأل الله العافية والسلامة.

الإعــــراب:

"ومــــن أعرض" الواو عاطفه على جواب الشرط المتقدم وهو "فمن اتبع هداي" ومن: اسم شرط جازم مبتدأ.

"أعرض" فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو.

"عن ذكري" متعلق بأعرض.

"فــإن له" الفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية، و"إن" حرف مشبه بالفعل،"وله" خبرها المقدم.

"معيشه" اسم إن مؤخر .

"ضنكا" صفة،والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط، وجوابه خبر من .

"ونحشره يوم القيامة أعمى" الواو:استئنافية.ونحشر:فعل مضارع مرفوع،والفاعل مستتر تقديره: نحن. والهاء في نحشره : مفعول به.

"يوم القيامة" ظرف متعلق بنحشره.

" أعمى" حال من الهاء في نحشره ، وقد قرئ بالجزم عطفاً على محل " فإن له معيشة ضنكا" (١) .

---

(١) إعــــراب القــــرآن وبيانه محيي الدين درويش ٢٦٥/٦ ، والجدول في إعراب القرآن وصرفه محمود صافي ٣٥٩/١٦ .

المسألة الثانية : في بيان معنى الإعراض :

قال الراغب في مفرداته : أعرض : أظهر عرضه أي ناحيته فإذا قيل : أعرض لي كذا أي : بدا عرضه فأمكن تناوله .

وإذا قيل : أعرض عني فمعناه ولى مبدياً عرضه قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾ [1] وقال سبحانه ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [3] وقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ [4] وقال: ﴿ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [5][6] .

وقال ابن فارس : ومن الباب أعرضت عن فلان وأعرضت عن هذا الأمر وأعرض بوجهه لأنه إذا كان كذا ولاه عرضه [7] .

إذن الإعراض هو الصدّ والتولي عن ذكر الله [8] ومعنى أعرض : أي صد وانصرف وتولى عن القرآن والدلائل التي أنزلها الله لعباده ولم ينظر فيها . فمن انشغل عن ذكر الله وابتعد عن التعلق بالله أو وقف في سبيل انتشار دين الله وحاربه وخاصمه فهو معرض عن الذكر صادٌّ عنه وقد تولاه الشيطان واستشرفه .

---

(١) سورة السجده-آية٢٢.

(٢) سورة النساء-آية٦٣.

(٣) سورة الأعراف آية-١٩٩.

(٤) سورة طه -آية ١٢٤.

(٥) (٦) سورة الأنبياء-آية٣٢ ، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٣٣.

(٧) معجم مقاييس اللغه لابن فارس ٤/٢٧١-٢٧٢.

(٨) أضواء البيان للشنقيطي ٤/١٥٥.

ومـــن تـــولى عن القرآن وأعرض عنه تلاوةً وتدبراً وعملاً فهو معرض عن كتاب الله تعالى .

ومن حكّم القوانين الوضعية ورغب عن أحكام الله المبنية على القرآن والسنة فهو معرض عن كتاب الله وذكر الله .

ومـــن تبع الأهواء والآراء والأمزجة ونتاج العقول - البعيد عن منهج الله - فهو معرض عن الذكر .

فالخلاصة أن الإعراض هو التولي والصد عن الذكر.

المسألة الثالثة : في بيان معنى الذكر :

قال في القاموس المحيط : الذكر بالكسر : الحفظ للشيء كالتذكار والشيء يجري على اللسان والصيت كالذكرة بالضم ، والثناء والشرف والصلاة لله تعالى والدعاء [1] والذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً باستحضاره وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول ... ولذلك قيل الذكر ذكران : ذكر بالقلب وذكر باللسان وكل واحد منهما ضربان ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ، وكل قول يقال له ذكر، فمن الذكر باللسان قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ [2][3].

وقوله تعالى : ﴿ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ﴾ [4] .

---

(١) القاموس المحيط ٢/١٣٦ مادة (ذكر).

(٢)(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/٤٢ ، سورة الأنبياء – آية ١٠.

(٤) سورة الأنبياء – آية ٥٠.

وقوله : ﴿ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾ [1].

وقوله : ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ [2] .

وقوله : ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ ﴾ [3] .

ومن الذكر عن النسيان قوله: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [4] .

ومن الذكر بالقول واللسان قوله: ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ﴾ [5] .

والذكر يقع على القرآن وعلى سائر كتب الله تعالى ويحتمل أن يراد به الأدلة وقال ابن القيم : قوله (عن ذكري) أي عن الذكر الذي أنزلته . والذكر هنا مصدر مضاف إلى الفاعل كقيامي وقراءتي لا إلى المفعول وليس المعنى : ومن أعرض عن أن يذكرني بل هذا لازم المعنى ومقتضاه من وجه آخر [6] .

وقوله ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ [7] .

والتذكرة ما يتذكر به الشيء وهي أعم من الدلالة والأمارة وقد ذكر الله الذكر في القرآن على عشرين وجهاً :

الأول : ذكر اللسان ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ ﴾ [8].

---

(١) سورة الأنبياء – آية ٢٤ .

(٢) سورة ص – آية ٨.

(٣) سورة ص – آية ١.

(٤) سورة الكهف – آية ٦٣.

(٥) سورة البقرة – آية ٢٠٠.

(٦) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/٤٢.

(٧) سورة الأنبياء – آية ١٠٥.

(٨) سورة البقرة – آية ٢٠٠.

الثاني: ذكر بالقلب ﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾[(١)].

الثالث: بمعنى الوعظ ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٢)].

الرابع: بمعنى التوراة ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾[(٣)].

الخامس: بمعنى القرآن ﴿ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ﴾[(٤)].

السادس: بمعنى اللوح المحفوظ ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾[(٥)].

السابع : بمعنى رسالة الرسول ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[(٦)].

أي : رسالة.

الثامن: بمعنى العبرة ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾[(٧)].

التاسع: بمعنى الخبر ﴿ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ﴾[(٨)].

العاشر: بمعنى الرسول ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولاً ﴾[(٩)].

الحادي عشر: بمعنى الشرف ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[(١٠)] أي : شرف.

---

(١) سورة آل عمران – آية ١٣٥.

(٢) سورة الذاريات – آية ٥٥.

(٣) سورة الأنبياء – آية ٧.

(٤) سورة الأنبياء – آية ٥٠ .

(٥) سورة الأنبياء – آية ١٠٥.

(٦) سورة الأعراف – آية ٦٩ .

(٧) سورة الزخرف – آية ٥ .

(٨) سورة الأنبياء – آية ٢٤.

(٩) سورة الطلاق- آية ١١،١٠.

(١٠) سورة الزخرف – آية ٤٤.

الثاني عشر: معنى التوبة ﴿ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[1] .

الثالث عشر: بمعنى الصلوات الخمس ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم ﴾[2].

الرابع عشر: بمعنى صلاة العصر خاصة ﴿ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ﴾[3] .

الخامس عشر: بمعنى صلاة الجمعة ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[4] .

السادس عشر: بمعنى العذر من التقصير ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[5]

السابع عشر: بمعنى الشفاعة ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾[6] .

الثامن عشر: بمعنى التوحيد ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾[7] ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ ﴾[8] .

التاسع عشر: بمعنى المنّة ﴿ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ ﴾[9] ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾[10] .

---

(١) سورة هود – آية ١١٤ .

(٢) سورة البقرة – آية ٢٣٩ .

(٣) سورة ص – آية ٣٢.

(٤) سورة الجمعة – آية ٩.

(٥) سورة النساء – آية ١٠٣.

(٦) سورة يوسف – آية ٤٢.

(٧) سورة طه – آية ١٢٤.

(٨) سورة الجن – آية ١٧.

(٩) سورة المائدة – آية ١١٠.

(١٠) سورة البقرة – آية ٤٠.

العشرون : بمعنى الطاعة والخدمة ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [1][2] .

المسألة الرابعة : في بيان معنى المعيشة الضنك :

الضنك : الضيق في كل شيء للذكر والأنثى ، ويقال ضنُك ضنكاً وضناكة وضنوكة : أي ضاق .

وفلان ضناكة فهو ضنيك : ضعف في رأيه وجسمه ونفسه وعقله .

وامرأة ضناك : مكتترة اللحم ، إذا اكتتر تضاغط .

والضناك الزكام لضيق المنخرين ، والمزكوم : مضنوك ، وكل عيش أو مترل أو مكان ضيق فهو ضنك ، قال عنترة :

إن المنية لــو تمثــل مثلــت مثلي إذا نزلوا بضنك المنــزل

وقال : وإن نزلوا بضنك أنزل [3] .

وقد اختلف العلماء في المراد بهذا العيش الضيق على أقوال متقاربة لا يعارض بعضها بعضاً .

---

(١)(٢) ســورة البقرة – آية ١٥٢ ، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١٧٩ وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ٣ / ٩ وما بعدها

(٣) البيتان لعنترةبن شداد وهما في ديوانه ٥٧-٥٨ وقد وردا هكذا :

إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا

أشدد وإن نزلوا بضنك المترل

والبيت الثاني جاء هكذا:

إن المنية لو تمثل مثلت

مثلي إذا نزلوا بضنك المنــزل

وانظــر :القاموس المحيط ٣/٣٢١ ، ومعجم مقاييس اللغه ٣/٣٧٣، والمفردات في غريب القرآن -/ ٢٩٩/ وعمــدة الحفــاظ للسمين الحلبي٢/٤٤٨،ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٣٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٣٧٨.

فقـــيل في الدنيا ، وقيل عذاب القبر، فقد روي عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري أنهما قالا : هو عذاب القبر [١].

وســـاق المفسرون هنا حديثاً عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (معيشة ضنكا) قال : عذاب القبر [٢].

وقيل: في الآخرة: وقيل :في الدنيا والأظهر الأول لمقابلته بالوعيد الأخروي .

قال ابن كثير [٣] : أي ضنكاً في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة .

يقول ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي: [٤]

ومن عقوبات المعاصي : المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ والعذاب في الآخرة قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[٥] . وقد فُسّرت المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا ريب أنه من المعيشة الضنك والآية تتناول ما هو أعم منه ، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات فإن عمومها من حيث المعنى فإنه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه وإن

---

(١) تفسير الطبري ٢٨٨/١٦ وانظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٣ .

(٢) تفسير الطبري ٢٢٨/١٦ وتفسير ابن الجوزي ٣٣١/٥ وتفسير ابن كثير ١٦٩/٣ وقال ابن كثير رحمه الله بعد إيراده لهذا الحديث: رفعه منكر جداً .

(٣) تفسير ابن كثير ١٦٨/٣ .

(٤) الجواب الكافي لابن القيم ١٨٠ .

(٥) سورة طه – آية ١٢٤.

تنعم في الدنيا بأصناف النعم ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب والأماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه وإنما تتوارى عند سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة وإن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر فسكر هذه الأمور أعظم من سكر الخمر فإنه يفيق صاحبه ويصحو وسكر الهوى وحب الدنيا لا يصحو صاحبه إذا سكر إلا في عسكر الأموات فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم في دنياه وفي البرزخ ويوم معاده ولا تقر العين ولا يهدأ القلب ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها الذي هو حق وكل معبود سواه باطل فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن بالله وعمل صالحاً كما قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة والحسنى يوم القيامة ، فلهم أطيب الحياتين وهم أحياء في الدارين .

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2] .

(١) سورة النحل – آية ٩٧ .

(٢) سورة النحل – آية ٣٠ .

ونظيرها قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [1] .

ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين فإن طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه وطمأنينته وانشراحه ونوره وسعته وعافيته . من ترك الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم على الحقيقة ولا نسبة لنعيم البدن إليه .

وقد قال بعض من ذاق هذه اللذة : لو علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : إنه يمر بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب .

وقال الآخر : إن في الدنيا جنة هي كالجنة في الآخرة ، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة .

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الجنة بقوله: " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر " [2] .

وقال صلى الله عليه وسلم:"ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة"[3].

---

(١) سورة هود – آية ٣ .

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس سنن الترمذي ١٩٤/٥ وأخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أنس بن مالك المسند ١٥٠/٣ .

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح ٥٧/٢ من حديث عبدالله بن زيد المازني ومن حديث أبي هريرة وأخرجه مسلم في الصحيح ١٠١٠/٢ من حديث عبدالله بن زيد المازني باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة .

ولا تظن أن قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [1] يختص بيوم المعاد فقط بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته وهل عيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم . ا . هـ كلام ابن القيم رحمه الله تعالى .

فالمعيشة الضنك تشمل الدنيا والآخرة والبرزخ على الصحيح وذلك أن الجزاء من جنس العمل فمن أعرض عن ربه وابتعد عن دينه وأقبل على الدنيا أصيب بشدة الحرص على الدنيا والتهالك على ازديادها والخوف من انتقاصها وغلب عليه الشح بها حيث لا غرض له سواها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة .

ويحتمل كونها ضنكاً أي أنها سبب للضنك يوم القيامة فيكون وصفها بالضنك للمبالغة كأنها نفس الضنك [2] .

المسألة الخامسة : هل المراد عمى البصر أم عمى البصيرة :

اختلف في قوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ ﴾ هل المراد عمى البصر أم عمى البصيرة ؟والذين قالوا: إنه من عمى البصيرة إنما حملهم على ذلك قوله تعالى:﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [3] .

وقوله: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [4] وقوله ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [5]

---

(١) سورة الانفطار – آية ١٤، ١٣ .

(٢) روح المعاني للآلوسي ٢١٧/١٦ وتفسير أبي السعود ٣/ ٤٩٦ بتصرف.

(٣) سورة مريم – آية ٣٨.

(٤) سورة ق – آية ٢٢.

(٥) سورة الفرقان – آية ٢٢.

وقوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [(١)] ونظائر هذا مما يثبت لهم الرؤية في الآخرة كقوله: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [(٢)] وقوله: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [(٣)] وقوله: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [(٤)] .

والذين رجحوا أنه من عمى البصر قالوا : السياق يدل عليه لقوله " قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا " وهو لم يكن بصيراً في كفره قط بل قد تبين له حينئذ أنه كان في الدنيا قد عمي عن الحق فكيف يقول: " وقد كنت بصيرا " وكيف يجاب بقوله: " كذلك أتتك آياتنا فنسيتها " بل هذا الجواب فيه تنبيه على أنه من عمى البصر وأنه جوزي من جنس عمله فإنه لما أعرض عن الذكر الذي بعث الله به رسوله وعميت عنه بصيرته أعمى الله به بصره يوم القيامة وتركه في العذاب . وقال آخرون: هذا إنما يكون إذا دخلوا النار واستقروا فيها سلبوا الأسماع والأبصار والنطق حين يقول لهم الرب تبارك وتعالى:﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [(٥)] فحينئذ ينقطع الرجاء وتبكم العقول ولا يسمع فيها بعدها إلا الزفير والشهيق [(٦)] .وذكر الشنقيطي رحمه الله في

---

(١) سورة التكاثر – آية ٦، ٧ .

(٢) سورة الشورى – آية ٤٥ .

(٣) سورة الطور – آية ١٣– ١٥ .

(٤) سورة الكهف ـــ آية ٥٣ .

(٥) سورة المؤمنون ـــ آية ١٠٨.

(٦) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/٤٤.

إجابته على الاشكال الذي قديرد حول الآيات التي تدل على أن الكافر يحشر يوم القيامه أعمى بل ان بعض الآيات دلت على أنه يحشر أبكم أصم أيضاً مع أنه دلت آيات من كتاب الله على أن الكفار يوم القيامة يبصرون ويسمعون ويتكلمون فذكر رحمه الله الجواب عن هذا الإشكال من ثلاثه أوجه، فقال:
الوجه الثاني:

قيل: المراد أنهم لا يرون شيئاً يسرهم ولا يسمعون كذلك ولا ينطقون بحجة كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه فلما لم ينتفعوا بما قالوا وسمعوه وأبصروه صار بمنزلة المعدوم الذي لا فائدة منه ومن المعلوم أن العرب تطلق لا شيء على ما لا نفع فيه [١] .

يقول ابن القيم رحمه الله : وفصل الخطاب أن الحشر هو الضم والجمع ويراد بـه تـارة الحشـر إلى موقف القيامة لقول النبي صلى الله عليه وسلم " إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة " [٢] .

وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [٣].

وكقوله تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [٤] .

ويراد به الضم والجمع إلى دار المستقر فحشر المتقين جمعهم وضمهم إلى الجنة وحشر الكافرين جمعهم وضمهم إلى النار لأنه قد أخبر عنهم أنهم قـالوا

---

(١) أضواء البيان ٥٩٨/٤.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ١٩١/٥، وأخرجه مسلم في الصحيح ٢١٩٤/٤ من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال: يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده ... الحديث.

(٣) سورة التكوير – آية ٥ .

(٤) سورة الكهف – آية ٤٧ .

﴿ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [1].ثم قال تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ الآية [2] وهذا الحشر الثاني وعلى هذا فهم ما بين الحشر الأول من القبور إلى الموقف والحشر الثاني يسمعون ويبصرون ويجادلون ويتكلمون وعند الحشر الثاني يحشرون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ولكل موقف حال يليق به ويقتضيه عدل الرب تعالى وحكمته فالقرآن يصدق بعضه بعضاً ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [3][4] .

" ولاشك أن الآية تحتمل كل هذه المعاني التي ساقها المفسرون فلا مانع من حملها على عمى البصر وعمى البصيرة في الدنيا عن شرع الله وأوامره ونواهيه وتخبط في ظلمات الكفر والضياع مع وضوح شواهد الحق ودواعي الإيمان مما يقود إلى النهاية المؤلمة والخاتمة المفزعة المرعبة وهي العمى في الآخرة وهو جزاء من جنس العمل . ولقد أسرف من أعرض عن ذكر ربه أسرف فألقى بالهدى من بين يديه وهو أنفس ثراء وذخر وأسرف في إنفاق بصره في غير ما خلق له فلم يبصر من آيات الله شيئاً فلا جرم يعيش معيشة ضنكاً ويحشر يوم القيامة أعمى " [5] .

---

(١) سورة الصافات ــ الآيتان ٢١،٢٠.

(٢) سورة الصافات ــ آية ٢٢.

(٣)(٤)سورة النساء ــ آية ٨٢ ، مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/٤٥.

(٥) في ظلال القرآن سيد قطب ٤/ ٢٣٥٦.

المسألة السادسة:الفرق بين الإعراض عن الذكر ومعارضة الذكر :

الإعـــراض عن الذكر ـــ كما مر معنا ـــ هو الصدود والابتعاد والتولي عن ذكر الله تعالى وهو القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين وما اشتمل عليه من أوامر ونواهي وتوجيهات وتعليمات .

والإعراض عن ذكر الله يجلب لصاحبه نتائج سيئة وعواقب وخيمة ناتجة عن الابتعاد عن دين الله وتعاليمه .

فمن نتائج الإعراض السيئة أن صاحبه من أعظم الناس ظلماً كما قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ [1] ومن نتائجه السيئة جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق وعدم الاهتداء أبداً كما قال سبحانه وتعالى مبيناً بعض ما ينشأ عنه من العواقب السيئة: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ [2] .

ومنها انتقام الله عز وجل من المعرض عن التذكرة كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [3] .

---

(١) سورة الكهف ـــ آية ٥٧ .

(٢) سورة الكهف ـــ آية ٥٧ .

(٣) سورة السجدة ـــ آية ٢٢.

ومنها كون المعرض كالحمار كما قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾[1] .

ومنها الإنذار بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود كما قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [2] ومنها المعيشة الضنك والعمى كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [3] ومنها سلكه العذاب الصعد كما قال تعالى ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [4] .

ومنها تقييض القرناء من الشياطين كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [5]

إلى غير ذلك من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن التذكير بآيات الله جلّ وعلا [6] .

أمـــا معارضـــة الذكر فهي بمعنى محاربته والوقوف في طريقه لئلا يصل إلى الآخـــرين وكل معارض لذكر الله فهو معرض عنه وقد يعرض الإنسان بنفسه عـــن الذكـــر ولكنه لا يعارضه فالمعارض للذكر أشد عذاباً وأكبر إجراماً لأنه

---

(١) سورة المدثر ـــ الآيتان ٤٩، ٥٠ .

(٢) سورة فصلت ـــ آية ١٣.

(٣) سورة طه ـــ آية ١٢٤.

(٤) سورة الجن ـــ آية ١٧ .

(٥) سورة الزخرف ـــ آية ٣٦ .

(٦) أضواء البيان للشنقيطي ٤/١٥٦،١٥٥.

داخل تحت مسمى الصاد عن ذكر الله ودينه والمحارب له وصد الناس عن دين الله صفة من صفات الكفار وقد وصفهم الله بها في كتابه في أكثر من آية .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [1] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ [2] .

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [3] .

ووصف الله المنافقين بالصدود عن دين الله صدود بأنفسهم، وصد لغيرهم .

قال سبحانه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [4] فالمنافقون من صفاقم الصد عن دين الله أي الإعراض بأنفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل :

صدوا وصرفوا ومنعوا الضعفة من الدخول في دين الإسلام واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] ومن أساليب صد المنافقين عن دين الله تعويقهم عن الجهاد حيث أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ

---

(١) سورة النساء ـــ آية ١٦٧.

(٢) سورة محمد ـــ آية ٣٢.

(٣) سورة محمد ـــ آية ٣٤.

(٤) سورة المنافقون ـــ آية ٢.

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٣/٣٠.

﴿ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾[1].وقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ﴾[2].

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ [3][4] .

المسألة السابعة : أسباب الإعراض عن ذكر الله :

هـــناك أسباب تؤدي بالمرء إلى الإعراض عن ذكر الله وتدعوه إلى الانصراف عن التعلق بخالقه جل وعلا وتهوى به بعيداً عن سبيل النجاة وطريق الفلاح بل ربما أدت به إلى محاربة الله باستبدال ذكر الشيطان بذكر الله ـــ وهو القرآن والسنة وما تفرع عـــنهما من علوم وأحكام ـــ حتى يصير بهذه الصفة نهباً للأهواء والشبهات وتحتوشه الشـــياطين من كل جانب فتؤدي به إلى الضياع والدمار والهلاك ومن أبرز أسباب الإعراض عن ذكر الله تعالى :

أولاً : ضـــعف التصور الإيماني المتحرك الفاعل مع سلامة العقيدة المستقرة في القلب فتضعف بضعفه مشاعر العبادة وقد ينعدم التصور الإيماني هذا أو يغشى عليه بأفكار ومفاهيم أخرى تسيطر على ساحة التصور فتنعدم مشاعر العبادة وتتوجه حينئذٍ شطر غير الله هائمة تائهة فتدخل بذلك رياح الشرك إلى القلب والنفس .. ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [5][6] .

ثانياً :الكبر والخيلاء فالكبر يدفع إلى جحود الحق والكفر بالنعمة وقد يدفع إلى كراهـــية المنعم المتفضل بدل حبه وإلى ذمه بدل حمده والثناء عليه وذكره وإلى الإســـاءة إلـــيه بـــدل شكره على نعمه وإحسانه . وقد أشار القرآن إلى هذا

---

(١) سورة الأحزاب ـــ آية ١٨.

(٢) سورة التوبة ـــ آية ٨١.

(٣)(٤)سورة آل عمران ـــ آية ١٦٨ ، أضواء البيان للشنقيطي ٣٢٣/٨.

(٥)(٦) سورة الفرقان ـــ الآيتان٤٣ ، ٤٤ ، العبادة في الإسلام أسسها وفلسفتها ومفهوماتها وحكمها وذكر الله فيها للشيخ / عبدالرحمن حبنكة الميداني / ٧٨.

الانحراف في خلق الإنسان فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (1) .

ثالـــثاً :الأمـــن من عذاب الله وعدم الخوف من عقابه بسبب طول الأمد في النعمة والـــرخاء مما قد يولد قسوة في القلوب قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (2) .

وتواتر النعم على الإنسان ربما ينسيه ربه وذكره وشكره فإذا حلّت به المصائب عاد إلى ربه داعياً بدعاء عريض ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ (3) .

رابعاً : اتباع الشهوات والمطامع الدنيوية العاجلة ونسيان الآخرة وما أعده الله للمؤمـــنين فيها من النعيم المقيم الذي لا يخالطه كدر وما توعد به الكافرين من العذاب الأليم كل ذلك يدفع المرء إلى الإعراض عن ذكر الله وعن الاشتغال به قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ (4) .

---

(1) سورة العاديات ــ الآيات ٦ ــ ٨ .

(2) سورة الحديد ــ آية ١٦.

(3) سورة فصلت ــ آية ٥١.

(4) سورة القيامة ــ الآيتان ٢١،٢٠ .

خامساً :موت القلب فالقلب الحي حياته ذكر الله واطمئنانه بترديد الأذكار والأدعية ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[1] والقلب الحي يتحرك ويوجل ويخاف عند سماعه لذكر خالقه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾[3] .

فالوجل والخوف عند سماع ذكر الله من علامات القلب الحي فهذا الوجل والخوف يبعث على الاطمئنان لأن المرء يحس حينئذٍ إنه في رعاية الله خالق الكون ومصرف الأمور ومدبرها الذي بيده مقاليد كل شيء وهو المأمول في السراء والضراء ، وهذا هو مبعث الاطمئنان لهذا القلب الحي .

إما إذا مات القلب وعلاه الران فإنه لا يدل صاحبه على الخير ولا يوجهه إلى ذكر الله بل إنه يكون من أقوى العوامل التي تصد المرء عن ذكر الله وعن الآخرة وهذا هو الخسران المبين .

والبوار العظيم عندما تكون علة الإنسان من داخله والقلب كما ثبت في الحديث ملك الأعضاء الذي إذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت فلا غرابة إذن إن كان القلب الذي هذه صفته عائقاً بين صاحبه وبين ذكر الله وموت القلب

---

(١) سورة الرعد ــ آية ٢٨.

(٢) سورة الأنفال ــ آية ٢.

(٣) سورة الحج ــ آية ٣٥.

وإن كان أثراً من آثار الإعراض عن ذكر الله كما سياتي إلا أنه يكون بعد ذلك سبباً من أعظم أسباب الإعراض عن الذكر والابتعاد عنه وعدم الرغبة فيه نسأل الله العافية والسلامة.

سادســاً :الذنوب والمعاصي : فهي من أبرز الأمور التي تجعل المرء يعرض عن ذكــر ربه بل إنها إذا زادت وكثرت حجبت القلب عن ربه جل وعلا " وفي حديـــث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وإن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلاً : كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى يجمعوا سواداً فأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها " [1] .

" فالمعاصـــي ســـبب الرعب والخوف والجبن والهلع .. فالطاعة حصن الله الأعظـــم بها يسمو الإنسان إلى مراتب الاطمئنان فالقلوب لا تهدأ إلا في كنف الله وحمـــى شرعه ولا تعمى بصيرتها وينطمس نورها وتحجب عن العلم الحق والهدايـــة الأبدية إلا في كنف الشيطان ومهاوي وساوسه وضلالاته وشتان بين قلب يتقرب إلى الله حتى يكون معه في كل جارحة وبين قلب يستذله الشيطان بمعاصيه وذنوبه " [2] . وفي الحديث الصحيح الذي رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا

---

(١) مســند الإمام أحمد ٤٠٥/١-٣٣١/٥ وإسناده صحيح على شرط الشيخين والأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٣٨٩ .

(٢) القلب ووظائفه في الكتاب والسنة ، لسليمان بن زيد بن سليمان اليماني ٢٦٢ .

تضـــره فتنة ما دامت السماوات والأرض وآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعـــرف معـــروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه "[1] ومعنى مجخياً : منكوساً .

ســـابعاً :الرفقة السيئة وجلساء السوء :لاشك أن المرء يتأثر بمن يجالس بل إن الجلـــيس يؤثر في صاحبه أكثر من غيره وذلك لما يكون بينهما في الغالب من الألفة والمودة مما يسقط الكلفة بينهما وقد قيل :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتـــــــدي

وإذا كـــان المرء يجالس أهل الصلاح والخير والبر فإنه قطعاً سيتأثر بهم وبما يقولـــون وبمـــا يدور في مجالسهم ومنتدياتهم ولقاءاتهم وهؤلاء يغلب ذكر الله وطاعته على أقوالهم وأفعالهم ومجالسهم وسيتأثر المرء بهم لا محالة .

أمـــا إذا كانـــت المجالس مجالس لهو وباطل ولغو وإعراض عن ذكر الله بل اشتغال بمعاصي الله وجرأة وإقدام على حرمات الله فلاشك أن المرء سيبتعد عن الذكـــر والطاعـــة والعبادة بل إن قلبه سيصاب بالران الذي يغلفه ويطغى عليه يحجبه عن الحق ويحبب إليه المعاصي ــ عياذاً بالله من ذلك ــ .

فالرفقة لها دور كبير في تجنيب المرء لذكر الله وطاعته وملازمته لهذا الشيء .. وأيضاً لها آثارها الواضحة في ابتعاده عن هذا المنهج والطريق وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما مثل الجليس الصالح والجليس السوء بمثال واقعي حيٍّ ملموس في الحديث الذي رواه أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ــ كتاب البيوع ١٦/٣.

ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة "[1] وقد أخبر الحق جل وعلا في كتابه الكريم عن الكافر أنه يدعو بالويل والثبور إذ رأى العذاب وعاين شدة الحساب ويتمنى لو أنه سلم من مصاحبة من أغواه وأضله وعن ذكر الله أبعده وصده فقال سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان ٢٧ - ٢٩] .

إنـــه لدليل أكيد وحجة دامغة على ما للصاحب والجليس من أثر واضح في الصـــد عـــن ذكر الله وحجب الصديق لصديقه عن الخير فالجليس أثره واضح وتأثيره قوي فلابد من اصطفائه وحسن اختياره ليكون عوناً للإنسان على البر والفلاح والهدى والصلاح والله أعلم .

هـــذه بعض الأمور التي تصد المرء عن ذكر الله ودعائه وتجعله ينشغل بالدنيا وزخـــرفها وحطامها ومغرياها وملهياها ولو علم المرء ـــ حق العلم ـــ ما في ذكر الله من الفوائد وما ينطوي عليه من المصالح في العاجل والآجل لعض عليه بالنواجذ ولحرص كل الحرص على الأخذ بالأسباب المعينة له على المداومة على الذكـــر والشكر ولقطع جميع العلائق والوشائج بكل سبب يصده عن ذكر الله وعن الصلاة وقراءة القرآن ـــ وكلها ذكر لله ـــ ولكن النفس والهوى وتزيين الشيطان تغلب على المرء فترديه في المهالك وتقذفه في المصائب والمعاطب نسأل الله السلامة والعافية إنه سميعٌ مجيب .

(١) خرجه مسلم في الصحيح باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ٤/٢٠٢٦.

المسألة الثامنة : بعض الآثار التي تنجم عن الإعراض عــن ذكر الله تعالى :

لاشـــك أن الإعراض أو الابتعاد عن ذكر الله يجعل المرء يعيش في دوامة من الحيرة والخوف والوجل .. ولا غرابة في ذلك ، فمشاغل الحياة وإيقاعها السريع وصـــخبها القـــوي وما فيها من الأكدار والنوائب تجعل هذا الكائن البشري الضعيف لا يصمد أمام ذلك .. وهو عرضة لتلقي جملة من المتاعب والمصائب والنكبات لأن هذه هي حال الدنيا .

طبعت على كدرٍ وأنت تريدها

صفـــواً من الأكـــدار والأحـــزان

وإذا تكالبت الخطوب والنكبات وتوالت الظروف والمدلهمات فلا مخرج ــــ بإذن الله ــــ منها إلا باللجوء إلى خالق هذا الكون ومن فيه ومدبر أحواله ومن بيده مفاتيح الأمور خيرها وشرها حلوها ومرها .. وإذا خالف المرء هذا الناموس وتنكب هذا الطريق وحاد عن هذه السنة تلقفته المشاكل والمصائب ووقع فريسة الأهواء والأمراض النفسية التي تعصف به وتكبله وتحول مساره جذرياً بل ربما أقدم ــــ للخروج من دوامة هذه المشاكل ــــ على أمورٍ تكون فيها نهايته ونهاية غيره كاللجوء إلى المسكرات والمفترات والمخدرات هروباً من واقعه وابتعاداً عن مصائبه ومشاكله ولكن لا يدري أنه يسير إلى الهاوية برجليه ويتقدم إلى النهاية باختياره ويقدم على حتفه بظلفه فيفسد نفسه وأسرته ويدمر حياته وإذا سلم من ذلك وقع فريسة لأمراض روحية وعقد نفسية كالقلق ، والاكتئاب ، وموت القلب ، ومعيشة الضنك ، وفقدان السعادة ، والحزن ، وضغوط الحياة ، فكأن الدنيا جميعها على رأسه والمشاكل له وحده دون غيره

.. وما علم أن الأمر أهون مما يتصور وأن المخرج ـــ بإذن الله ـــ هين وسهل وصدق الله جل وعلا: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: آية ٥٥] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [(١)] .

وســـأتناول هنا بعض الآثار الناجمة عن الإعراض عن ذكر الله وهي : موت القلب ، معيشة الضنك ، عدم السعادة ، والقلق والاكتئاب .

مـــوت القلب :

القلب ذلك العضو الصغير في جسم الإنسان له منـــزلة عظيمة ومكانة عالية رفيعة في حياة الإنسان فليس هو مجرد آلة تضخ الدم وتوزعه على أنحاء الجسم ـــ وإن كانت هذه مهمة كبيرة ووظيفة خطيرة ـــ إلا أن له منـــزلة ومكانة

(١) سورة طه الآيات ١٢٤- ١٢٧ .

أهم من ذلك فهو يتأثر بما يدخل فيه من نور الإيمان واليقين أو ظلمات الجهل والنفاق والكفر ـ عياذاً بالله من ذلك . ويوم القيامة لا ينفع عند الله إلا القلب السليم ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١) .

والقلب هو الملك على الأعضاء بصلاحه تصلح وتفلح وبفساده تفسد وترتكس ففي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " (٢) ، والقلب هو مناط التكليف من العبد ـ لأنه محل العقل في قول بعض أهل العلم ـ وهو محل نظر الله عز وجل ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بيده إلى صدره " (٣) .

ولما للقلب من هذه المكانة استحق أن يكون ملك الأعضاء وسيدها والقائم عليها تصلح بصلاحه وتفسد بفساده ولقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم هذه المترلة للقلب فكان أكثر ما يقسم به قوله " لا ومقلب القلوب " (٤) .

والقلوب كما يقول ابن القيم رحمه الله ثلاثة :

*القلب الأول: قلب خال من الإيمان وجميع الخير فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً وتحكم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن .

---

(١) سورة الشعراء ـ آية ٨٨، ٨٩ .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الإيمان ١/١٩ ، ومسلم في الصحيح كتاب المساقاة ٣/ ١٢٢٠.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح . كتاب البر والصلة والآداب ٤/١٩٨٦.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح . كتاب الأيمان والنذور من حديث ابن عمر قال : " كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم : لا ومقلب القلوب " صحيح البخاري ٧/٢١٧ .

*القلب الثاني: قلب قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهواء فللشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع فالحرب دول وسجال وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر ومنهم من هو تارة وتارة .

*القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان وانقشعت عنه حجب الشهوات وأقلعت عنه تلك الظلمات فلنوره في صدره إشراق ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به فهو كالسماء التي حرست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق .. وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء ، والسماء متعبد الملائكة ومستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها فهو حقيق أن يحرس من كيد العدو فلا ينال منه شيء إلا خطفه . ا . هـ (1) .

وفي القلوب فاقة وحاجة لا يسدها إلا الإقبال على الله ومحبته والإنابة إليه والإكثار من ذكره وشكره والثناء عليه وتدبر كتابه والعمل بما فيه .

والذكر يجلب للقلب الفرح والسرور والراحة ويورث القلب السكون والطمأنينة كما أشار إلى ذلك ربنا جل وعلا بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ

(1) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم ٦٢.

﴿ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (١) . ومعنى اطمئنان قلوبهم هنا : زوال ما فيها من قلق واضطراب ويكون فيها بدل ذلك الفرح والاستبشار والراحة " بل إن الذكر هو حياة القلب حقيقة وهو قوت القلب والروح فإذا فقده العبد صار بمترلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته فلا حياة للقلب حقيقة إلا بذكر الله ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء " (٢) . إذا أعرض الإنسان عن ذكر الله وانشغل بتوافه الدنيا وملهياتها مرض قلبه وربما زاد هذا المرض حتى يطبع على القلب فيظلم ويصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً فإذا تراكمت المعاصي على القلب سلبته العلم والفقه ثم أصيب القلب بوحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا توازنها لذة ولا تقاربها ولو اجتمعت لهذا العاصي لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة وليس أمرّ على القلب من وحشة الذنب على الذنب .. وفي النهاية يموت القلب وموته هو الطبع عليه والختم كما في قوله جل وعلا في حق المنافقين والكفار: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ ﴾ " (٣) .

يقول الطبري رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية : " إن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلفتها وإذا أغلفتها أتاها حينئذٍ الختم من قبل الله عز وجل والطبع فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر منها مخلص فذلك. هو الطبع والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ ﴾

---

(١) سورة الرعد- آية ٢٨.

(٢) فقه الأدعية والأذكار، لعبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ١٨.

(٣) سورة البقرة – آية ٧.

نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلّها فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم إلا بعد فضه خاتمه وحلّه رباطه عنها " (١) وأي مصيبة أعظم من موت القلب فكل جائحة تهون عند هذه الجائحة فإذا كان الله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) فالحجارة الصلبة تلين لذكر الله وسماع آياته وما نزل من الحق فكيف بهذا القلب الذي وصل إلى هذا الحد إنه التحجر والتبلد وليس بعد ذلك إلا الموت عياذاً بالله من ذلك .

معيشة الضنك وعدم السعادة :

الإقبال على الله والإنابة إليه والرضا به وعنه وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة والمبتعد عن ذكر ربه ودعاء خالقه والانطراح بين يديه يجازى بضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وغمه وهمه وحزنه وخوفه وهذا أمر لا يرتاب فيه أحد ولا يغالط فيه إلا جاهل بل إن الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية يكتوي بها اللاهون السادرون في غيهم المبتعدون عن ذكر الله .

يقول بعض العارفين : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف . (٣)

وقال آخر : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً (٤) .

---

(١) جامع البيان للطبري ١/١١٢- ١١٣.

(٢) سورة الحشر - آية ٢١.

(٣) هـذا القول منسوب لإبراهيم بن أدهم، انظر: حلية الأولياء ٧/٣٧٠ وذكره ابن القيم في الجواب الكافي ١٦٥ومفتاح دار السعادة ١/٣٦ .

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/٣٦ .

وقـــال آخر : إنه لتمر بي أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيشٍ طيب .

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين .[1]. نعم إن الذكر والمداومة عليه هو جنة المؤمن في الدنـــيا وهو عنوان محبة الله لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره وملك عليه قلبه وعقله ولسانه وإذا صار المرء بهذه الصفة صفت حياته وتملكته السعادة من كل جوانـــبه لأنه يعيش لله وبالله ومع الله في كل شأن من شؤونه لأن ذكر الله أمر يسير يذكر المرء ربه قاعداً وقائماً ومضطجعاً في السوق والبيت والعمل مسافراً أو مقيماً فيبقى على اتصال بخالقه في كل شأن من شؤونه وعلى كل حال من أحواله ـــ إلا في الأحوال التي نهي الإنسان عن ذكر الله فيها ـــ وهذه لعمر الله قمـــة السعادة وغاية الراحة ومن حرمها فقد حرم الخير كله وهو أمر مشاهد معـــروف تـــرى شخصاً ـــ ذكراً أو أنثى ـــ وقد بسط له في الرزق وأعطي الصـــحة والقوة والأمن والأمان، يتقلب في النعم المختلفة، ومع كل ذلك يقول لك : أين السعادة ؟ وما هو مصدرها ؟ وعندما تسأله عن حاله يجيبك بأنه في بـــؤسٍ وقلق وضنك وشقاء ولا تجد صعوبة في معرفة السبب في كل ذلك إنها ظـــلمة القلب ومعيشة الضنك التي أخبر الله عنها في كتابه (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) فهل بعد هذا من مزيد اللهم عفوك وغفرانك .

---

(١) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم ١٠١.

القلق والاكتئاب :

من أبرز الأمراض التي تصيب المرء وتحلّ به عندما يبتعد عن ربه ويغفل عن ذكره القلق والاكتئاب .

والقلـــق : انفعال عاطفي يتميز بالتخوف والتوجس والترقب بما يصاحب ذلك من تغيرات فسيولوجية وأعراض بدنية وسلوكية .

" والقلق ظاهرة عامة لا تقتصر على المرضى النفسيين وحدهم وإنما تمر بكل الناس عندما يواجهون ظروفاً معينة والاختلاف بين الأفراد في هذا الأمر يكون عـــادة في درجة الاستعداد الشخصي وما يترتب عليه من تفاوت بين الناس في مقـــدار ما يشعرون به من قلق وكذلك في نوع الظروف والأحداث التي تحيط بهـــم " (١) وبقدر قرب المرء من ربه وتعلقه به أو بعده عنه تكون درجة القلق عـــنده فالبعـــيد مـــن ربه خائف مضطرب يتوقع السيء في كل حركة بينما الموصول بربه المرتبط بخالقه يذكره ويسبحه ويحمده ويشكره تهون عنده الأمور ويستعين على المشاكل والمصائب باللجوء إلى خالقها وموجدها ومن بيده حلها فتهدأ نفسه ويزول قلقه بإذن الله .

"والاكتئاب : أحد التقلبات المعتادة للمزاج استجابة لموقف نصادفه في حياتنا يدعو إلى الشعور بالحزن والأسى مثل فراق صديق أو خسارة مالية ... والمفهوم الأهم للاكتئاب هو وصفه كأحد الأمراض النفسية المعروفة ويتميز بوجود مظاهر نفسية وأعراض جسدية " (٢). والقلق والاكتئاب من الآثار الظاهرة لمن انقطعت صلته بربه وتعلق بحبال غيره .. ذلك أن الله تعالى قدّر أن الراحة

---

(١) القلق وكيف تتخلص منه، د / زهير أحمد السباعي و د / شيخ إدريس عبدالرحيم ص ١١.

(٢) الاكتئاب المرض والعلاج، د / لطفي الشربيني ١٧.

النفسية وسكينة النفس والحياة الطيبة لا تحصل إلا بالإيمان والعمل الصالح والتعلق بالله عز وجل قال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (١).

وهـــذا وعد من الله تعالى أن الحياة الطيبة لا تحصل إلا بالإيمان والعمل الصالح فهـــو وقايـــة أكيدة من آثار ضغوط الحياة ومعين لمن تمسك به على مواجهتها والـــتعايش معها .. وعلى قدر الإيمان تكون الاستجابة للضغوط .. فإن قوى الإيمان والاتصال بالله قلّت الاستجابة لهذه الضغوط وكلما نقص إيمان الشخص وابتعد عن الله كان قلقه وهمه أكثر من غيره .

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: " ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته الإكثار من ذكر الله فإن لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر وطمأنينته وزوال همه وغمه قال تعالى:﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٢) فلذكره أثر عظيم في حصول هذا المطلوب لخاصيته ولما يرجوه العبد من ثوابه وأجره " (٣) .

يقول الأستاذ عبدالعزيز الحسيني : " وقد تدبرت أحوال بعض المطمئنين عن ســـر هـــذا الاطمئـــنان الذي يعيشونه بعيداً عن آثار ضغوط الحياة وأكدارها فوجدت أنه لا يميزهم عن غيرهم سوى شدة تعلقهم بكتاب الله وكثرة قراءتهم له حتى أصبح أنيسهم وجليسهم .. وقد حدثني أحدهم بأنه لم تمر به مشكلة إلا

(١) سورة النحل ــــ آية ٩٧ .

(٢) سورة الرعد ــــ آية ٢٨ .

(٣) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ،لابن سعدي ، رسالة ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي جــ٥ / ٤٨٨.

ويـــرجعها غالـــباً إلى انشـــغـــاله عن ورده اليومي لأمرٍ طرأ عليه نسيـــاناً أو انشغالاً " [1] .

يقول سيـــد قطب رحمه الله عند تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [2] .

" والشقاء ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقاً في المتاع فهذا المتاع ذاته شقوة . شقوة في الدنيا وشقوة في الآخرة وما من متاع حرام إلا وله غصة تعقبه وعراقيل تتبعه وما يضل إنسان عن هدى الله إلا ويتخبط في القلق والحيرة والتكفؤ والاندفاع من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يتوازن في خطاه والشقاء قرين التخبط ولو كان فـــي المرتع الممرع ثم الشقوة الكبرى في دار البقاء .. ومن اتبع هدى الله فهو في نجوة من الضلال والشقاء في الأرض وفي ذلك عوض عن الفردوس المفقود حتى يؤوب إليه في اليوم الموعود (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه ضنك الحيرة والقلق والشك ضنك الحرص والحذر ، الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت ، ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على ما يفوت . وما يشع القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ... إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضاً وعمقاً وسعة . والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة

(١) ضغوط الحياة أسبابها، الوقاية من آثارها، أساليب التعايش معها. عبدالعزيز بن عبدالله الحسيني ٣٤.

(٢) سورة طه ــ آية ١٢٣، ١٢٤ .

الفقر والحرمان "[1] . وهكذا تكون حياة من ابتعد عن ذكر الله هم وحزن وقلق واكتئاب وضنك وشقاء هذا في عاجل الدنيا فكيف بما يكون في الآخرة ، نسأل الله العافية والسلامة إن العاقل الفطن من يسعى إلى السلامة ويحصن نفسه بما ينفعها ويفيدها ويغذي عقله وروحه بما يكون له زاداً في الدنيا والآخرة وصدق الباري جل وعلا إذ يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ .

المسألة التاسعة : من فوائد ذكر الله :

لذكـــر الله جل وعلا فوائد عظيمة وآثار واضحة على من التزم به ويصعب حصر هذه الآثار في مثل هذا المقام . ولقد تكلم العلماء عن هذه الآثار وبسطوا الكلام فيها وحولها .

ومن أحسن من تكلم في هذا الموضوع وجمع أطرافه و لم شتاته الإمام العلامة ابن القيّم رحمه الله في كتابه العظيم : الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب . وهذا الكـــتاب مطـــبوع طبعات كثيرة ومتداول بين أهل العلم وطلابه ... فقد قال رحمـــه الله في كـــتابه المذكور : [2] وفي الذكر أكثر من مائة فائدة ... ثم أخذ يعـــدد فوائد الذكر فذكر ما يزيد على سبعين فائدة كل واحدة منهن بمفردها كافـــية لحفز النفوس وتحريك الهمم للاشتغال بالذكر كيف وقد اجتمعت تلك الفوائد والعوائد والأمر فوق ما يصفه الواصفون ويعده العادون فإليك جملة مما ذكره رحمه الله :

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٤/٢٣٥٥.

(٢) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم ٩٠ .

فمن فوائد الذكر :

١- أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره .

٢- أنه يرضي الرحمن عز وجل .

٣- أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

٤- أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .

٥- أنه يقوي القلب والبدن .

٦- أنه ينور الوجه والقلب .

٧- أنه يجلب الرزق .

٨- أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

٩- أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة وقد جعل الله لكل شيء سبباً وجعل سبب المحبة دوام الذكر فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره .

١٠- أنه يورث مراقبة الله .

١١- أنه يورث القرب من الله .

١٢- أنه يورث الإنابة والرجوع إلى الله .

١٣- أنه يفتح للذاكر باباً عظيماً من أبواب المعرفة .

١٤- أنه يورث الذاكر الهيبة لربه عز وجل وإجلاله سبحانه .

١٥- أنه يورث الذاكر ذكر الله تعالى قال تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١) ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني

(١) سورة البقرة ـــ آية ١٥٢.

في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ... " الحديث [1] .

١٦- أنه يورث حياة القلب .

١٧- أنه قوت القلب والروح .

١٨- أنه يورث جلاء القلب من أصدائه .

١٩- أنه يحط الخطايا ويذهبها .

٢٠- أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه .

٢١- أن العبد إذا تعرف على الله في الرخاء تعرف الله عليه في الشدة .

٢٢- أنه منجاة من عذاب الله .

٢٣- أنه سبب نزول السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة.

٢٤- أنه يشغل اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل لأن العبد لا بد له من الكلام فإن لم يتكلم بذكر الله تكلم بهذه المحرمات .

٢٥- أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين .

٢٦- أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة .

٢٧- أنه أيسر العبادات وهو من أجلّها وأفضلها .

٢٨- أنه غراس الجنة .

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب التوحيد ١٧١/٨ ، وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٠٦١/٤.

٢٩- أنه نور للذاكر في الدنيا وفي القبر ويوم المعاد قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (١).

٣٠- أنه ينبه القلب من نومه ويوقظه من سباته .

٣١- أن الذكر رأس الشكر فما شكر الله تعالى من لم يذكره .

٣٢- أن في القلب قسوة لا يلينها إلا ذكر الله عز وجل فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى .

٣٣- أن الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضه فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله .

٣٤- أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر فإنها رياض الجنة .

٣٥- أن الله يباهي بالذاكرين ملائكته .

٣٦- أن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق فإن المنافقين قليلوا الذكر لله عز وجل ، قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢) .

٣٧- إن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثير لشهود العبد يوم القيامة قال تعالى:﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ

---

(١) سورة الأنعام ــ آية١٢٢.

(٢) سورة النساء ــ آية ١٤٢.

ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴾ (١) .

روى الترمذي في جامعه من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية " يومئذٍ تحدث أخبارها " فقال أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أن تشهد على كل عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها، تقول : عمل يوم كذا كذا وكذا " (٢).

هذه بعض فوائد الذكر ذكرتها مجملة دون شرح أو تفصيل كما أنني لم أذكر جميع الفوائد التي ساقها ابن القيم لأنني اكتفيت بالإشارة فقط وفي الإشارة ما يغني عن بسط العبارة ويكفي أن الذكر مرضاة للرب وأنه يطرد الشيطان وينجي منه ومن وسواسه وأنه بمثابة الحصن الحصين والحرز المكين الذي لا يحرز العبد نفسه من هذا العدو اللدود إلا به ، وهذه لاشك من أعظم فضائل الذكر لأن الشيطان هو الذي يصد المرء عن الله وعن طاعته ويزين له ارتكاب المعاصي ومواقع الذنوب والآثام وطرده والتخلص منه إنما يكون بذكر الله تعالى .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين وأن يلهمنا الرشد والصواب إنه سميعٌ مجيب .

''' وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين '''

---

(١) سورة الزلزلة الآيات ١- ٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه أبواب تفسير القرآن . تفسير سورة الزلزلة ٥/١١٦ وقال الألباني : ضعيف الإسناد . ضعيف سنن الترمذي للألباني ٢٧٥- ٤٣٧ .

الخاتمـــة :

الحمـــد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد هذه الرحلة المباركة في ظـــلال آيـــة من آيات كتاب الله الكريم نستطيع أن نستخلص بعض الفوائد والنتائج فمن ذلك :

١- أن ذكـــر الله تعـــالى قـــولاً وفعلاً شارح للصدر يبعث الاطمئنان ويجلب السعادة والفرح ويدفع الخوف والغضب .

٢- الإعراض عن ذكر الله قد تعجل عقوبته في الدنيا بسوء الخلق وضيق الصدر والضنك في العيش وقد تمتد إلى البرزخ فينال المعرض عن ذكر الله من العقوبة ما يلائـــم حاله في الدنيا أما عقوبته في الآخرة فهي أنه يحشر أعمى إما أن يكون عمى حسياً أو معنوياً حيث لا يهتدي إلى طريق الفوز والفلاح أو كلاهما معاً وهو الراجح كما مر معنا .

٣- أن ذكـــر الله تعـــالي والاتصال به وعدم الغفلة والإعراض عنه هو الحصن الحصـــين والحـــرز المكـــين ــ بإذن الله تعالى ــ من كل المكارة والنكايات والمصائب والملمات ، وهو بإذن الله علاج لما يصيب الإنسان في حياته .

٤- أن موت القلب وعدم السعادة وعيشة الضنك والقلق والاكتئاب بعضٌ من الأمراض والظواهر التي تصيب الإنسان حال بعده عن ربه وتعلقه بحطام الدنيا الزائل وإعراضه عن ذكر الله وشكره .

٥- أن لذكـــر الله والالتزام به وعدم إهماله والتفريط به آثار لا تنكر وفوائد لا تحصر تعود على الذاكر في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة وهي فوائد ثابتة وأمور متيقنة دلت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة .

٦- أن دين الإسلام هو دين الكمال والشمول شمل جميع مناحي الحياة ووازن بين كل المتطلبات للروح والعقل والجسم وربط بين الخالق والمخلوق في علاقة متوازنة راعت أحوال الناس والبشر في كل زمان ومكان ولا غرابة في ذلك فهو خاتم الأديان وناسخ الشرائع وهو الذي ارتضاه ربنا لعباده دون سواه أسأل الله جـــل وعلا أن يعلمنا ما جهلنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع :

١- **القرآن الكريم**

٢- **أضـــواء البـــيان في إيضـــاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي مطبعة المدني ـــ المؤسسة السعودية بمصر ـــ القاهرة ١٣٨٦هـــ .

٣- **الاكتئاب المرض والعلاج**،د/لطفي الشربيني منشأة المعارف ـــ الإسكندرية .

٤- **إعـــراب القـــرآن وبيانه**، محيي الدين درويش. دار الإرشـــاد حمص سورية ١٤٠٨هـــ .

٥- **بصـــائر ذوي التميـــيز** ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المكتبة العلمية ـــ بيروت ـــ لبنان .

٦- **تفســـير غريـــب القرآن**، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ لبنان ١٣٩٨هـــ .

٧- **تفسير القرآن العظيم** ، للإمام الجليل أبي الفداء إسماعيل بن كثير،دار الفكر .

٨- **تفسير أبي السعود** ، دار الفكر .

٩- **التفسير الكبير**، للإمام الفخر الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت .

١٠- **تهذيـــب اللغة** ،لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـــ .

١١- **تيســـير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤٠٧هـــ .

١٢- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري دار الفكر ـــ بيروت ـــ لبنان ١٤٠٨هـــ .

١٣- **الجـــدول في إعـــراب القرآن وصرفه** ، محمود صافي . دار الرشيد بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـــ .

١٤- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** ، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،دار الكتاب العربي ١٤٠٣هـــ .

١٥- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ،لأبي نعيم الأصفهاني ،دار الكتاب العربي ـــ بيروت ـــ لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـــ .

١٦- **روح المعـــاني في تفســـير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، محمود الآلوسي الـــبغدادي ، دار إحـــياء الـــتراث العربي ـــ بيروت ـــ لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـــ .

١٧- **زاد المسير في علم التفسير** ،لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الـــجوزي القرشي ، المكتب الإســـلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـــ .

١٨- **سنن الترمذي** ، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، دار الفكر الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـــ .

١٩- **ســـنن أبي داود** ،لأبي داود ســـليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت ـــ لبنان .

٢٠- **ســـنن ابن ماجه** ،لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥هـــ .

٢١- **صـــحيح الـــبخاري** ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـــ .

٢٢- **صـــحيح مســـلم** ، لأبي الحســـن مســـلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ١٤٠٠هـــ.

٢٣- **ضعيف سنن الترمذي** ،لمحمد ناصر الدين الألباني ،المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٢٤- **ضعيف سنن أبي داود** ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٥- **ضغوط الحياة:أسبابها ، الوقاية من آثارها ، أساليب التعايش معها**، عبدالعزيز بن عبدالله الحسيني ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

٢٦- **في ظلال القرآن** ،سيد قطب ـ دار الشروق الطبعة السابعة ١٣٩٨هـ .

٢٧- **العبادة في الإسلام أسسها وفلسفتها ومفهوماتها وحكمها وذكر الله فيها**، عبدالرحمن حبنكة الميداني ،مؤسسة الريان للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٢٨- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** ، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٢٩- **فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير**، محمد بن علي الشوكاني دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان. مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة .

٣٠- **فقه الأدعية والأذكار**، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، دار عفان للنشر والتوزيع ـ الخبر ـ السعودية الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٣١- **القاموس المحيط** ،لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر .

٣٢- **القلـــب ووظائفه في الكتاب والسنة** ، لسليمان بن زيد بن سليمان اليماني، دار ابـــن القـــيم للنشـــر والتوزيع ـــ الدمام ـــ السعوديـــة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـــ .

٣٣- **القلـــق وكـــيف تـــتخلص منه** ، د / زهير أحمد السباعي ،د / شيخ إدريس عبدالرحيم ،دار القلم ـــ دمشق الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـــ.

٣٤- **المفردات في غريب القرآن** ،لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ،دار المعرفة للطباعة والنشر ـــ بيروت ـــ لبنان .

٣٥- **معجـــم مقايـــيس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار الكتب العلمية ـــ إسماعيليان يخفي إيران .

٣٦- **معـــاني القـــرآن** ،لأبي زكـــريا يحيى بن زياد الفراء عالم الكتب بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـــ .

٣٧- **محاســـن التأويل** ، لمحمد جمال الدين القاسمي ،دار الفكر ـــ بيروت ـــ لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـــ .

٣٨- **مجـــاز القـــرآن** ،لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، الطبعة الثانية ـــ مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـــ .

٣٩- **معاني القرآن وإعرابه** ، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري، عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٨هـــ .

٤٠- **مسند الإمام أحمد** ،دار الكتب العلمية.

٤١- **مجموع فتاوى ابن تيمية** ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم ، مكتبة النهضة الحديـــثة مكة ـــ شارع الحرم ـــ باب العمرة إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين .

٤٢- **مفــتاح دار الســعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** ، لابن قيم الجوزية ، مكتبة الرياض الحديثة.

٤٣- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ،وضعه محمد فؤاد عبدالباقي .

٤٤- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**، مطبعة بريل في مدينة ليدن ١٩٦٩م .

٤٥- **الكشــاف عــن حقــائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، لأبي القاسم جــارالله محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ـــ بيروت ـــ لبنان .

٤٦- **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب** ، لابن القيم ، مكتبة الرشد ـــ الرياض ـــ السعودية الطبعة الأولى ١٤٢٢هـــ .

٤٧- **الوسائل المفيدة للحياة السعيدة** ، للشيخ عبدالرحمن السعدي ، رسالة ضمن المجموعــة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي ، مركز ابن صالح الثقافي ـــ عنيزة ـــ السعودية ١٤٠٧هـــ .

٤٨- **الوســيط في تفســير القــرآن المجيد**، لأبي الحسن على بن أحمد الواحدي النيسابوري دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـــ .